إصداء الهاجر الغريب

إلى الأديب اللبناني
الراحل سعيد فرحات

هدأتَ أم تراكَ ما تزال مُعْجَلا
مستوحشاً مرآتَك التي تناثرت
منتشلاً من الرماد قلبَك الرطيب
مرتجلاً قرارةَ الناي الغريب
يا طائراً حطَّ على « صيدا » بلا جناح●
وعشُّه الشمال
يا نغماً مرتحلاً
مشتملاً ببرُدة البروق والرعود
بجذوة المداد والحداد
رَدِّدْ صدى ترنيمتك :
قد يَجْمع الله الشتيتين غداً
المنتهَى للبدء . . للنبع الذي
ما ارتاده يوماً كنار
إلا ارتمى وجْداً به واتَّحدا
هل عانق النجم القمر
كي يهتدي الدربُ الطويل
للفجر . . والروح الحزين
للشاطىء السَّاجي الأمين
أم عانق الكنارَ ظلٌّ يُحتضَر
فثار وانتحر ؟

* * *

يا نجمنا
مُتَّشِحاً آيَ البهاء مُقْبلا
على صلاة الحرف راعفاً مُقَبِّلا
ضياءَه المشتعلا
حلْم الغداة والعشيِّ مُثْقَلاً
غصنك بالريحان . . بالندى
وطيِّب الجنى
لنا هنا . . هناك . . تحت المنحنى
فوق السَّديم والردى

* * *

يا أيها الظامي الشريد
يشدو عذابات الضحى
يحدو مواويلَ المسا :
حرب . . سلام !!
هذا النعيم المجتلَى
هذا الرحيق
ما زال يرعاه الحريق
حيٌّ « الجليل »
قبل ارتداد الطرف آخِرَ الرحيل
هبْ لي حصاةً من رُباه
ضَمَّخَها بنوره الندِيّ
قلبُ الفدائي العليّ
تحنو بها كفِّي على طِيبِ الرفات
لكنها لحد الصديق
مهد لنسر في « الجنوب »
يأبى الحصا
يأبى الأَكُفَّ الحانيات
يأبى الحصار

* * *

يا أيها السهم المصاب يا مغنىَ الحياه
فراشةً من الحُطام تنفجر
مبتهلا
للعشب . . للغمام . . للنوارس البيضاء
تحنو على
ذكرى صباحاتِ الفداء
قارورة العشق الجنوبي الجريح
ورد « دلالٍ » شعرها منسَدِلا
على الكروم والخيام والرياح
ترنو إلى
نبض التراب المستباح
ليل العناة الصاعدين
فوق الجراح
همس « سناءٍ » طيفها الحبيب
مرتدياً أَهِلَّةَ الشروق مُسْدِلا
على ستائر المحاق رِعْشة الوتر
يا أيها الطيف الشَّجيّ
مسائلاً
دبيبَ خطوها على الشفقْ
متى يُفَتِّق الأُفُقْ
ليهمِيَ المطر
ينحسر اليبابُ والزبَد
ويولد الطوفانُ من جديد
يستشرف « الجوديَّ » موجُ الزاحفين●●
يستبشر المستضعفون
خبزاً وناراً . . ظُلَّةً وقبلةً
مهداً وورد

* * *

يا شجني
يا شمعة الغروب
متى تؤوب
مهرولاً تزورنا
مغلَّلا بشوكنا
مكلَّلا بالياسمين
مكبِّراً لكعبة « الجنوب »
يا أيُّها الآتونَ بعدنا
حَيَّ على الفداء
على الحياة للخلود
على الخلود للحياة
حَيَّ على « الجليل »
باسم الشهيدة البتول
باسم الشهيد
ثأراً لشمس لن تغيب
شمساً لكهف يرتعد
دَيْنا سحيقاً يُسْترد

د . حسن فتح الباب
وهران (الجزائر)

هوامش :

● إشارة إلى دفن جثمان الأديب الراحل في « صيدا » بالجنوب اللبناني في مقابر أهل زوجته ، وهو الذي قضى حياته في الكويت يحلم بانبعاث مدينته « بيروت » مثل طائر الفينيق المنطلق من رماد الحريق .

●● اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح في قصة الطوفان .